المكتبة الخضراء للأطفال

٥

البجعات المتوحشات

بقلم: عبدالله الكبير

الطبعة الحادية والعشرون

دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل . القاهرة ج.م.ع.
هاتف ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

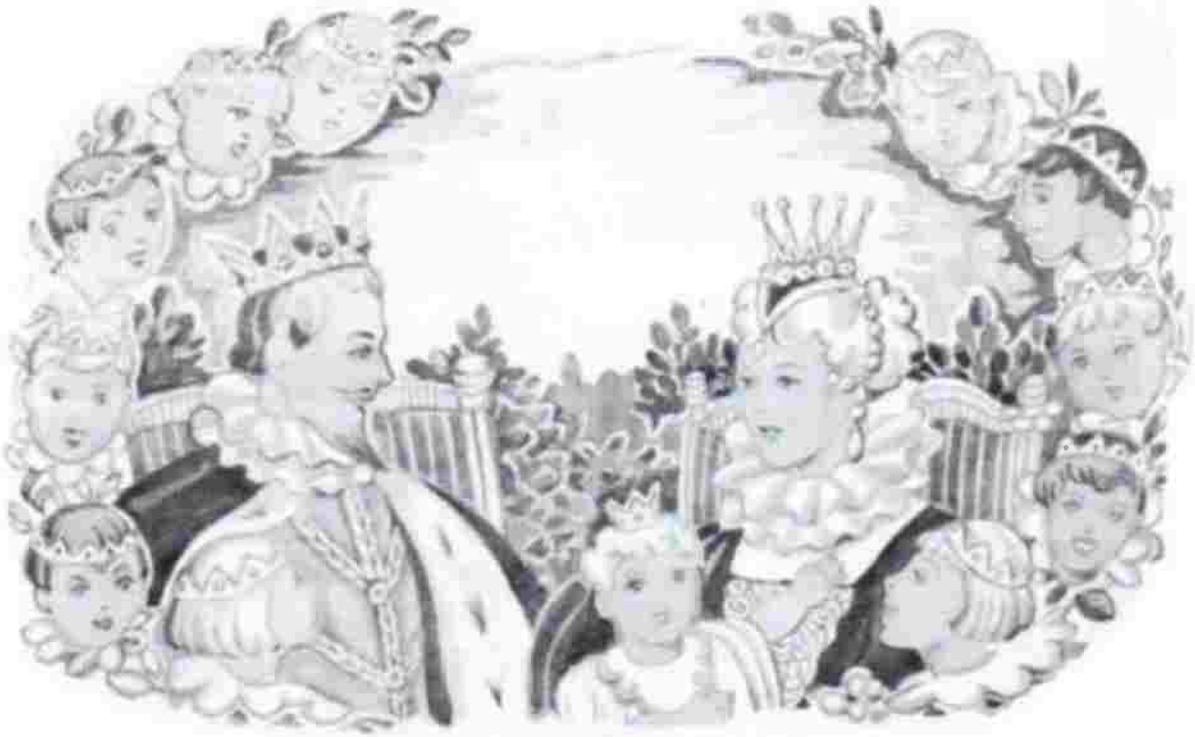

كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، أَحَدَ عَشَرَ وَلَداً ، وَبِنْتٌ وَاحِدَةٌ . وَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي قَصْرٍ فَخْمٍ جَمِيلٍ ، عِيشَةً كُلُّهَا سَعَادَةٌ وَهَنَاءَةٌ ؛ فَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ عَادِلاً رَحِيماً ، يُحِبُّ شَعْبَهُ ، وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي سَبِيلِ تَقَدُّمِهِ ، فَأَحَبَّتْهُ رَعِيَّتُهُ ، وَأَخْلَصَتْ فِي حُبِّهِ .

وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ وَفِيَّةً مُخْلِصَةً ، تُسَاعِدُ زَوْجَهَا فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ الْوَاسِعَةِ ، وَتُشْرِفُ بِنَفْسِهَا عَلَى شُئُونِ الْقَصْرِ ، وَتَهْتَمُّ كُلَّ الاهْتِمَامِ

بِتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا ، وَتُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْفَضَائِلَ ، وَالْأَخْلاقَ الْعَالِيَةَ .

وَكَانَ الْأُمَرَاءُ أَذْكِيَاءَ مُهَذَّبِينَ ، يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَالتِّيجَانُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَالْأَوْسِمَةُ تُزَيِّنُ صُدُورَهُمْ ، وَالسُّيُوفُ تَتَدَلَّى بِجَانِبِهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتُبُونَ بِأَقْلامٍ مِنَ الْأَلْمَاسِ ، عَلَى أَلْوَاحٍ مِنَ الذَّهَبِ !

أَمَّا الْأَمِيرَةُ – وَهِيَ أَصْغَرُ إِخْوَتِهَا – فَكَانَتْ بَارِعَةَ الْجَمَالِ ، خَفِيفَةَ الرُّوحِ ، رَقِيقَةَ الطِّبَاعِ ، يُحِبُّهَا كُلُّ مَنْ يَرَاهَا . وَكَانَتْ تَجْلِسُ – عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ – فِي حَدِيقَةِ الْقَصْرِ ، عَلَى كُرْسِيٍّ مِنَ الْبَلُّورِ ، تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ إِخْوَتِهَا مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، وَتَتَسَلَّى بِالنَّظَرِ فِي كِتَابٍ عَجِيبٍ : أَوْرَاقُهُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، وَحُرُوفُهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، وَصُوَرُ الْعَصَافِيرِ فِيهِ تُغَرِّدُ ، وَصُوَرُ الْحَيَوَانِ فِيهِ تَتَحَرَّكُ ، وَصُوَرُ النَّاسِ فِيهِ تَمْشِي وَتَتَكَلَّمُ !

لَقَدْ كَانَ أَفْرَادُ هذِهِ الْأُسْرَةِ الْمَلَكِيَّةِ ، صِغَاراً وَكِبَاراً ، سُعَدَاءَ حَقًّا . وَلكِنَّ السَّعَادَةَ لا تَدُومُ . فَقَدْ مَاتَتِ الْمَلِكَةُ الطَّيِّبَةُ ،

فَعَرَفُوا جَمِيعاً مَرَارَةَ الْحُزْنِ ، وَقَسْوَةَ الْأَلَمِ ، وَفَارَقَتْهُمُ السَّعَادَةُ ، الَّتِي كَانُوا يَنْعَمُونَ بِهَا ...

وَأَخِيراً فَكَّر الْمَلِكُ فِي الزَّوَاجِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، لَعَلَّ زَوْجَتَهُ الْجَدِيدَةَ أَنْ تُعِينَهُ ، وَتَكُونَ أُمًّا لأَوْلادِهِ : تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ ، وَتَهْتَمُّ بِشُئُونِهِمْ . وَلكِنَّ الْحَظَّ السَّيِّئَ ، أَوْقَعَهُ فِي زَوْجَةٍ مَاكِرَةٍ ، اسْتَطَاعَتْ بِسِحْرِهَا وَخِدَاعِهَا ، أَنْ تَجْعَلَهُ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، وَيَخْضَعُ لَهَا ، وَيُطِيعُهَا ، وَيُنَفِّذُ لَهَا رَغَبَاتِهَا كُلَّهَا .

وَكَانَتْ – كُلَّمَا جَلَسَتْ إِلَى زَوْجِهَا – تَقُصُّ عَلَيْهِ حِكَايَاتٍ مَكْذُوبَةً ، عَنْ أَوْلادِهِ ، وَتُحَدِّثُهُ عَنْهُمْ أَحَادِيثَ سَيِّئَةً ، لا أَصْلَ لَهَا ، حَتَّى غَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَصْبَحَ لا يَهْتَمُّ بِهِمْ ، وَلا يَسْأَلُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ قَالَتْ لَهُ بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ مِنْ زَوَاجِهَا : ” إِنَّ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ قَدْ ضَعُفَتْ لِشِدَّةِ حُزْنِهَا عَلَى أُمِّهَا . وَإِنِّي أَرَى – حِرْصاً عَلَى صِحَّتِهَا الْغَالِيَةِ – أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الرِّيفِ ، فَتَتَسَلَّى ، وَتَنْسَى حُزْنَهَا ، وَتَسْتَرِدَّ

عَافِيَتَهَا " . فَوَافَقَ الْمَلِكُ عَلَى رَأْيِ زَوْجَتِهِ ، وَأَرْسَلَ الطِّفْلَةَ الْمِسْكِينَةَ إِلَى ضَيْعَةٍ بَعِيدَةٍ .

وَبِهٰذِهِ الْحِيلَةِ تَخَلَّصَتِ الْمَلِكَةُ مِنَ الْأَمِيرَةِ ، وَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ إِخْوَتِهَا ، حَتَّى تُصْبِحَ وَحْدَهَا صَاحِبَةَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الْمَلِكُ لِلصَّيْدِ ، فَدَعَتِ الْمَلِكَةُ الشِّرِّيرَةُ الْأُمَرَاءَ ، فَأَقْبَلُوا مُسْرِعِينَ ، وَوَقَفُوا أَمَامَهَا خَائِفِينَ ، فَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِأَلْفَاظٍ

غَرِيبَةٍ ، ثُمَّ أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِيَدَيْهَا وَقَالَتْ : " طِيرُوا كعَصَافِيرَ كَبِيرَةٍ، مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! " ...

وَفِي الْحَالِ صَارَ الْأُمَرَاءُ ، إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، وَصَرَخُوا صَرْخَةً غَرِيبَةً ، وَطَارُوا فَوْقَ الْقَصْرِ وَالْحَدِيقَةِ ، ثُمَّ اخْتَفَوْا بَيْنَ السَّحَابِ . وَاستَمَرُّوا طَائِرِينَ ، حَتَّى صَارُوا فَوْقَ الْمَزْرَعَةِ الْبَعِيدَةِ ، الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا أُخْتُهُمْ ، وَشَاهَدُوهَا وَهِيَ تَلْعَبُ ، أَمَامَ الْكُوخِ الَّذِي

تُقِيمُ فِيهِ ، فَحَلَّقُوا فَوْقَهَا ، وَمَدُّوا رِقَابَهُمُ الطَّوِيلَةَ ، وَأَخَذُوا يُحْفِقُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، وَلكِنَّهَا لَمْ تَرَهُمْ ، وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ صَوْتاً ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَطِيرُونَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! فَازْدَادَ حُزْنُهُمْ ، وَارْتَفَعُوا بَيْنَ الْغُيُومِ ، وَلَمْ يَهْبِطُوا إِلا عَلَى شَاطِئِ بَحْرٍ وَاسِعٍ ...

وَكَانَتْ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ ، تَقْضِي نَهَارَهَا أَمَامَ الْكُوخِ ، تَلْعَبُ بِأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ ، فَتَثْقُبُهَا ثُقُوباً صَغِيرَةً ، وَتَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، كَأَنَّهَا

مِنْظَارٌ ، وَتَتَّجِهُ نَحْوَ الشَّمْسِ ، فَتَتَخَيَّلُ أَنَّ إِخْوَتَهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، بِأَعْيُنِهِمُ الزُّرْقِ الْجَمِيلَةِ . فَإِذَا أَحَسَّتْ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ عَلَى خَدَّيْهَا ، تَخَيَّلَتْ أَنَّ أَحَدَ إِخْوَتِهَا يُقَبِّلُهَا ! ...

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَكَبِرَتِ الْأَمِيرَةُ ، وَازْدَادَ حُسْنُهَا ، وَاكْتَمَلَ جَمَالُهَا . وَكَانَتْ إِذَا سَارَتْ بِجَانِبِ شُجَيْرَاتُ الْوَرْدِ ، الَّتِي تُحِيطُ بِالْكُوخِ كَأَنَّهَا سُورٌ ، اهْتَزَّتِ الشُّجَيْرَاتُ ، وَمَالَتْ نَحْوَهَا الْغُصُونُ ، وَسَمِعَتِ النَّسِيمَ يَقُولُ : " أَيُّهَا الْوَرْدُ الْجَمِيلُ ! أَتَعْرِفُ فِي الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْكَ ؟ " فَيَرُدُّ الْوَرْدُ عَلَى النَّسِيمِ قَائِلاً : " نَعَمْ ! الْأَمِيرَةُ الطَّاهِرَةُ أَجْمَلُ مِنِّي ! " ...

أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدْ حَزِنَ لِفَقْدِ أَبْنَائِهِ ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ يَبْحَثُونَ عَنْهُمْ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ سَحَرَتْهُمْ ، وَطَرَدَتْهُمْ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ ابْنَتَهُ مِنَ الرِّيفِ ، حَتَّى يُخَفِّفَ بِرُؤْيَتِهَا بَعْضَ حُزْنِهِ ، كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ لَهُ : " لا ، لا تُرْجِعْهَا ... الْأَحْسَنُ أَنْ تَبْقَى

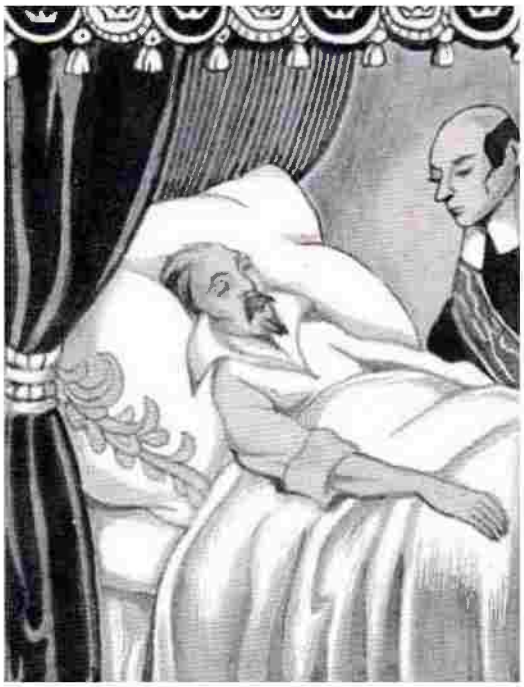

هُنَاكَ ، حَتَّى لا تَعْرِفَ مَا جَرَى لِإِخْوَتِهَا ، فَتَمُوتَ حُزْناً ! ” .

ثُمَّ مَرِضَ الْمَلِكُ ، فَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَرَى ابْنَتَهُ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهَا ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ زَوْجَتُهُ أَنْ تُخَالِفَهُ ، أَوْ تَعْصِيَ أَمْرَهُ .

وَعَادَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَصَارَتْ أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي الدُّنْيَا. فَلَمَّا رَأَتْهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا ، امْتَلأَ قَلْبُهَا بِالْغَيْرَةِ وَالْحَسَدِ ، وَفَكَّرَتْ فِي أَنْ تَسْحَرَهَا ، كَمَا سَحَرَتْ إِخْوَتَهَا ؛ فَأَمَرَتْ بِإِعْدَادِ الحَمَّامِ ، حَتَّى تُنَظِّفَ الْأَمِيرَةُ جِسْمَهَا مِنْ تُرَابِ السَّفَرِ ، وَتَرْتَدِيَ ثِيَابًا تَلِيقُ بِابْنَةِ الْمَلِكِ .

وَقَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ الْأَمِيرَةُ الْحَمَّامَ ، دَخَلَتْهُ زَوْجَةُ أَبِيهَا ، وَمَعَهَا ثَلاثُ ضَفَادِعَ ، وَوَقَفَتْ أَمَامَ الْحَوْضِ ، وَقَبَّلَتِ الضَّفَادِعَ ، وَوَضَعَتْهَا

بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِكَلِمَاتٍ سِحْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ . ثُمَّ قَالَتْ لِلضِّفْدِعَةِ الْأُولَى : " قِفِي عَلَى رَأْسِ الْأَمِيرَةُ ، عِنْدَمَا تَنْزِلُ فِي الْحَوْضِ ، لِتُصْبِحَ غَبِيَّةً ! " . وَقَالَتْ لِلثَّانِيَةِ : " قِفِي عَلَى جَبِينِ الْأَمِيرَةُ ، لِتَصِيرَ دَمِيمةً، قَبِيحَةَ الشَّكْلِ ، فَلا يَعْرِفُهَا أَبُوهَا ! " . وَقَالَتْ لِلثَّالِثَةِ : " قِفِي عَلَى قَلْبِ الْأَمِيرَةُ ، لِتَكُونَ شِرِّيرَةً ، وَلِتَكُونَ آلامُهَا كَثِيرَةً ! " ...

وَلَمَّا نَزَلَتِ الْأَمِيرَةُ فِي الْحَوْضِ ، قَفَزَتْ عَلَيْهَا الضَّفَادِعُ الْمَسْحُورَةُ، وَلكِنَّهَا لَمْ تَمَسَّهَا بِأَذًى ؛ لأَنَّهَا مَا كَادَتْ تَلْمِسُ الْأَمِيرَةُ التَّقِيَّةَ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ إِلَى ثَلاثِ وَرْدَاتٍ جَمِيلاتٍ ! ...

وَخَرَجَتِ الْأَمِيرَةُ مِنَ الْحَمَّامِ ، وَهِيَ أَجْمَلُ مِمَّا كَانَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ زَوْجَةُ أَبِيهَا ، أَنَّ السِّحْرَ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا ، دَعَتْهَا إِلَى حُجْرَتِهَا الْخَاصَّةِ ، وَأَظْهَرَتْ لَهَا رَغْبَتَهَا فِي أَنْ تُزَيِّنَهَا بِيَدَيْهَا قَبْلَ أَنْ تُقَابِلَ وَالِدَهَا .

وَكَانَتْ الْمَلِكَةُ الشِّرِّيرَةُ ، قَدْ جَهَّزَتْ سِحْرًا آخَرَ ، أَشَدَّ وَأَقْوَى؛ فَطَلَتْ وَجْهَ الْأَمِيرَةُ بِمَرْهَمٍ سِحْرِيٍّ ، وَمَشَطَتْ شَعْرَهَا بِمِشْطٍ سِحْرِيٍّ

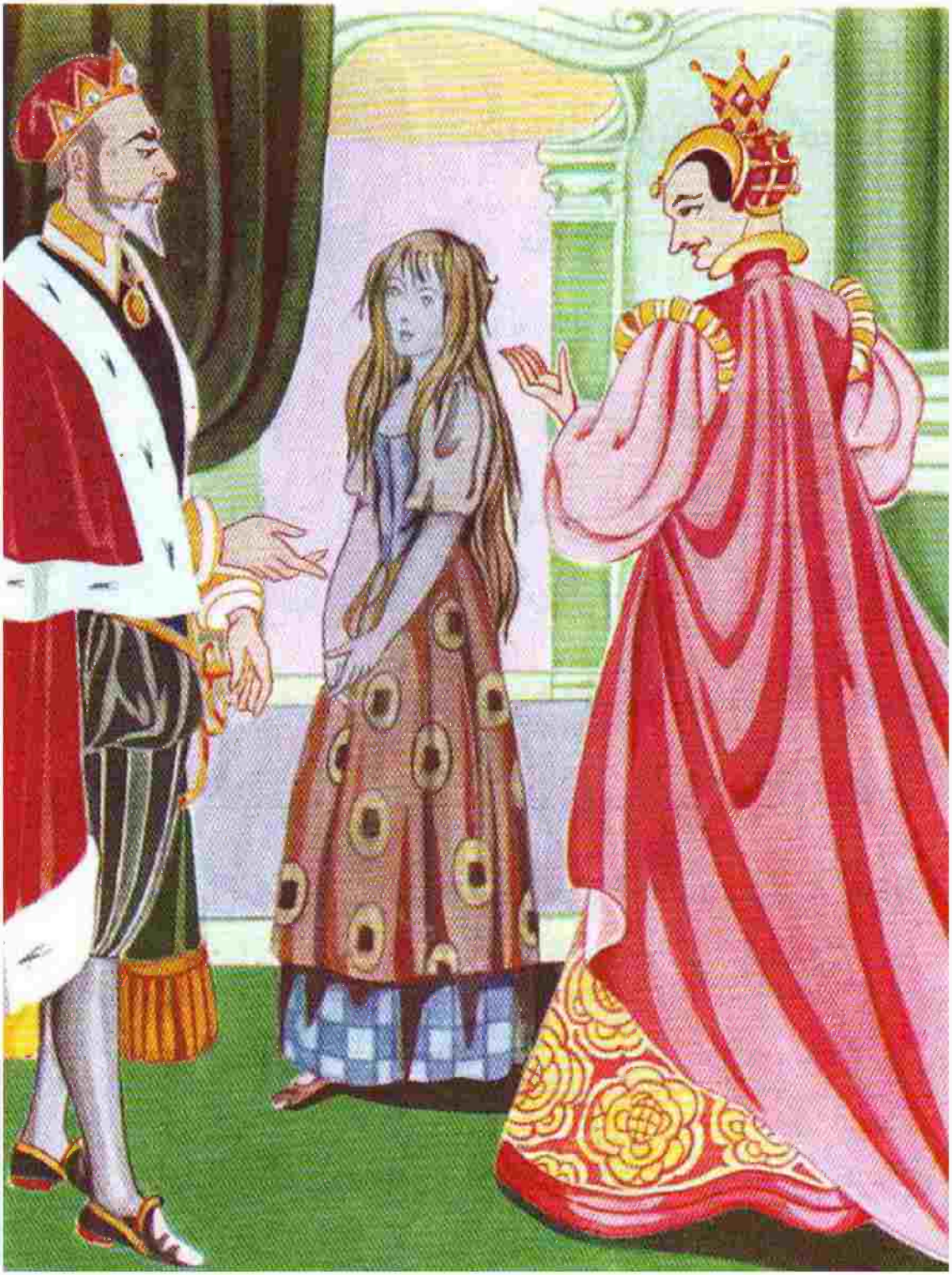

، وَدَلَكَتْ جِسْمَهَا بِعُصَارَةِ الْجَوْزِ الْمَسْحُورِ ، فَتَغَيَّرَ شَكْلُ الْأَمِيرَةُ تَغَيُّرًا تَامًّا ، وَأَسْوَدَّ وَجْهُهَا ، وَأَبْيَضَّ شَعْرُهَا ، وَصَارَتْ قَبِيحَةً دَمِيمَةً ، فَلَمْ يَكَدِ الْمَلِكُ يَرَاهَا حَتَّى نَفَرَ مِنْهَا ، وَأَمَرَ بِطَرْدِهَا وَإِبْعَادِهَا ، وَقَالَ إِنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَتَهُ !

وَلَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ فِي الْقَصْرِ ، وَهِيَ فِي شَكْلِهَا الْقَبِيحِ ... لَمْ يَعْرِفْهَا سِوَى الْكَلْبِ ! وَلَكِنْ مَاذَا يَسْتَطِيعُ هذَا الْحَيَوَانُ أَنْ يَقُولَ ؟ وَمَاذَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ ؟!

خَرَجَتِ الْأَمِيرَةُ بَاكِيَةَ الْعَيْنِ ، حَزِينَةَ الْقَلْبِ ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ حَيْثُ تَحْمِلُهَا قَدَمَاهَا ، وَعَبَرَتْ حُقُولاً وَمُسْتَنْقَعَاتٍ ، وَظَلَّتْ سَائِرَةً ، حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَضَلَّتِ الطَّرِيقَ . وَأَحَسَّتْ بِالتَّعَبِ ، فَجَلَسَتْ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَأَسْنَدَتْ رَأْسَهَا إِلَى جِذْعِهَا . وَكَانَ النَّسِيمُ لَطِيفاً ، وَالسُّكُونُ رَهِيبًا ، فَلا تَسْمَعُ غَيْرَ حَفِيفِ الشَّجَرِ ، وَخَرِيرِ الْمَاءِ ؛ وَلا تَرَى إِلا الْفَرَاشَاتِ ، فَوْقَ الْحَشَائِشِ وَالْأَعْشَابِ ، تَلْمَعُ بِضَوْئِهَا

الْأَخْضَرِ الضَّئِيلِ ، كَمَصَابِيحَ صَغِيرَةٍ يُلاعِبُهَا الْهَوَاءُ ! ...

وَغَلَبَهَا النَّوْمُ ، فَنَامَتْ عَلَى الْعُشْبِ ، بِجِوَارِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ ، تَلَفَّتَتْ حَوْلَهَا ، فَرَأَتْ – بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْمُتَشَابِكَةِ – طَرِيقًا ، شَقَّتْهُ الْغِزْلانُ ، بِكَثْرَةِ سَيْرِهَا فِيهِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لابُدَّ أَنَّ هذَا الطَّرِيقَ ، يُوَصِّلُ إِلَى الْمَاءِ الَّذِي أَسْمَعُ خَرِيرَهُ ! ... فَسَارَتْ فِيهِ ، تُظَلِّلُهَا الْأَشْجَارُ ، وَتَتَسَاقَطُ عَلَيْهَا الثِّمَارُ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، رَأَتْ نَفْسَهَا أَمَامَ يَنْبُوعٍ رَائِقٍ صَافٍ ، فَانْحَنَتْ لِتَشْرَبَ ، وَتَغْسِلَ وَجْهَهَا ؛ فَرَأَتْ فِي الْمَاءِ صُورَتَهَا الْقَبِيحَةَ ، فَارْتَعَبَتْ وَتَرَاجَعَتْ ، وَصَرَخَتْ وَبَكَتْ . ثُمَّ اتَّجَهَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَأَظْهَرَتِ الصَّبْرَ بِمَا قَدَّر

اللّهُ ، وَشَرِبَتْ ، وَغَسَلَتْ وَجْهَهَا ، فَإِذَا بِهِ يَعُودُ أَبْيَضَ جَمِيلاً ، كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَسْحَرَهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا ، فَخَلَعَتْ مَلابِسَهَا ، وَنَزَلَتْ تَسْتَحِمُّ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ ، لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ، أَمِيرَةٌ أَجْمَلُ مِنْهَا !

ثُمَّ أَخَذَتْ تَسِيرُ فِي الْغَابَةِ ، الَّتِي الْتَفَّتْ أَشْجَارُهَا ، وَتَشَابَكَتْ غُصُونُهَا ، فَحَجَبَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ... وَكَانَ السُّكُونُ يَمْلأُ الْمَكَانَ ، فَلا نَسِيمَ يُحَرِّكُ الْأَوْرَاقِ ، وَلا عُصْفُورَ يُزَقْزِقُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَلا صَوْتَ غَيْرَ صَوْتِ تَكَسُّرِ الْأَوْرَاقِ الْجَافَّةِ ، تَحْتَ قَدَمَيْهَا ...

وَكُلَّمَا سَارَتِ اشْتَدَّ الظَّلامُ ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ حَالِكَ السَّوَادِ ، فَامْتَلأَ قَلْبُ الْمِسْكِينَةِ بِالْخَوْفِ وَالْهَمِّ . وَلكِنَّهَا سَلَّمَتْ أَمْرَهَا إِلَى اللّهِ ، وَرَكَعَتْ تُصَلِّي ، ثُمَّ نَامَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، كَمَا يَنَامُ الطَّائِرُ فِي الْقَفَصِ !

وَفِي الصَّبَاحِ ، تَابَعَتْ سَيْرَهَا فِي الْغَابَةِ ، فَشَاهَدَتْ سَيِّدَةً عَجُوزًا ، تَحْمِلُ سَلَّةً ، فَفَرِحَتْ بِرُؤْيَتِهَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا ، وَحَيَّتْهَا ، فَرَدَّتْ عَلَيْهَا الْعَجُوزُ تَحِيَّتَهَا ، وَقَدَّمَتْ لَهَا بَعْضَ الْفَاكِهَةِ مِنْ سَلَّتِهَا ، فَشَكَرَتْهَا

الْأَمِيرَةُ ، وَأَنِسَتْ بِهَا ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ بِجِوَارِهَا . ثُمَّ سَأَلَتْهَا :

" هَلْ مَرَّ بِكِ – يَا سَيِّدَتِي – أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا يَرْكَبُونَ جِيَادَهُمْ ؟ "

فَأَجَابَتْهَا الْعَجُوزُ : " لا ، يَا بُنَيَّتِي ! لَمْ أُشَاهِدْ أَحدًا مِنَ الْأُمَرَاءِ، الَّذِينَ تَتَحَدَّثِينَ عَنْهُمْ . وَلَكِنِّي رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ ، إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، عَلَى رُؤُوسِهَا تِيجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ ، تَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ، الَّذِي فِي نِهَايَةِ الْغَابَةِ " ؛ فَعَادَتِ الْأَمِيرَةُ تَسْأَلُ السَّيِّدَةَ الْعَجُوزَ :

" وَكَيْفَ أَصِلُ إِلَى ذلِكَ الْبَحْرِ ؟ " ، فَأَشَارَتِ الْعَجُوزُ بِيَدِهَا ، وَقَالَتْ : " سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي عَنْ يَمِينِكِ ، حَتَّى تَصِلِي إِلَى النَّهْرِ ، ثُمَّ سِيرِي مَعَهُ ، تَصِلِي إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ! " .

وَمشَتِ الْأَمِيرَةُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى النَّهْرِ ، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ وَشَاطِئَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَصَبِّهِ فِي الْبَحْرِ ، وَهُنَاكَ وَقَفَتْ تَتَأَمَّلُ هذَا الْمَاءَ ، الَّذِي لا حَدَّ لَهُ ، الْمُمْتَدَّةَ زُرْقَتُهُ إِلَى آخِرِ مَا تَرَى عَيْنَاهَا .

وَتَلَفَّتَتْ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَرَأَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهَا – بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَقْذِفُهَا الْمَوْجُ عَلَى الشَّاطِئِ – إِحْدَى عَشْرَةَ رِيشَةً بَيْضَاءَ ، فَجَمَعَتْهَا وَنَظَمَتْ مِنْهَا بَاقَةً ، وَأَخَذَتْ تُكَلِّمُهَا وَتَقُولُ : " نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّكِ – أَيَّتُهَا

الرِّيشَاتُ – تَعْرِفِينَ سِرَّ إِخْوَتِي ! ... لَيْتَكِ تَقُولِينَ لِي : مَاذَا جَرَى لَهُمْ ؟ وَأَيْنَ هُمْ ؟ ”

وَقُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، شَاهَدَتْ إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً بَرِّيَّةً ، عَلَى رُؤُوسِهَا تِيجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ ، تَطِيرُ نَحْوُ الشَّاطِئِ ، كَأَنَّهَا شَرِيطٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ ... وَلَمَّا وَصَلَتْ هذِهِ الْبَجَعَاتُ ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَقِفُ فِيهِ الْأَمِيرَةُ ، أَحَاطَتْ بِهَا ، وَأَخَذَتْ تُخْفِقُ بِأَجْنِحَتِهَا الْكَبِيرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا ! ... وَمَا كَادَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ ، وَتَخْتَفِي وَرَاءَ الْمَاءِ ، حَتَّى وَقَعَ رِيشُ الْبَجَعَاتِ ، وَصَارَتْ أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا ! ...

رَأَتِ الْأَمِيرَةُ إِخْوَتَهَا بِجَانِبَهَا ، فَصَاحَتْ فَرَحًا ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَيْهِمْ ، وَصَارَتْ تُقَبِّلُهُمْ وَتَحْتَضِنُهُمْ ، وَتُنَادِي كُلاً مِنْهُمْ بِاسْمِهِ . وَفَرِحُوا هُمْ كُلَّ الْفَرَحِ بِلِقَاءِ أُخْتِهِمُ الصَّغِيرَةِ ، وَأَخَذُوا يُقَبِّلُونَهَا ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ مَرَّةً ، وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَقَصَّ الْإِخْوَةُ عَلَى أُخْتِهِمْ ، مَا فَعَلَتْ بِهِمْ زَوْجَةُ أَبِيهِمْ ، وَكَيْفَ

سَحَرَتْهُمْ ، وَصَيَّرَتْهُمْ بجَعَاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَطَرَدَتْهُمْ مِنْ مَمْلَكَةِ أَبِيهِمْ. وَقَصَّتِ الْأُخْتُ عَلَى إِخْوَتِهَا ، مَا حَدَثَ لَهَا ، وَكَيْفَ أَبْعَدَتْهَا هذِهِ الْمَلِكَةُ الشِّرِّيرَةُ ، سِنِينَ طَوِيلَةً فِي الرِّيفِ ؛ ثُمَّ كَيْفَ شَوَّهَتْ خَلْقَهَا ، وَقَبَّحَتْ شَكْلَهَا الْجَمِيلَ ، حَتَّى نَفَرَ مِنْهَا أَبُوهَا ، وَأَنْكَرَهَا ، وَطَرَدَهَا... فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ جَمِيعًا ، ضَحِيَّةُ كَرَاهِيَةِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ وَسِحْرِهَا .

وَقَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ لأُخْتِهِ : " إِنَّنَا نَتَحَوَّلُ إِلَى بجَعَاتٍ بَرِّيَّةٍ – كَمَا رَأَيْتِ – كُلَّمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ . فَإِذَا غَابَتْ ، عُدْنَا إِلَى حَالَتِنَا الْأُولَى ، وَصِرْنَا بَشَرًا . وَلِذلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا دَائِمًا – قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ– أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ أَمِينٍ ، نَقْضِي فِيهِ اللَّيْلَ . فَلَوْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَنَحْنَ طَائِرُونَ بَيْنَ السُّحُبِ ، فَإِنَّنَا نَسْقُطُ فِي الْبَحْرِ وَنَغْرَقُ ، أَوْ نَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَتَكَسَّرُ عِظَامُنَا ...

وَنَحْنُ نَسْكُنُ بَلَداً جَمِيلاً بَعِيدًا ... بَعِيدًا جِدًّا ، لا نَصِلُ إِلَيْهِ ، إِلا إِذَا عَبَرْنَا هذَا الْبَحْرَ الوَاسِعَ ، وَطِرْنَا يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ . وَلَيْسَ فِي

هذَا الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ، جَزِيرَةٌ نَقْضِي فِيهَا اللَّيْلَ ، وَإِنَّمَا فِيهِ صَخْرَةٌ، وَحِيدَةٌ صَغِيرَةٌ ، تَسَعُنَا وَاقِفِينَ مُتَلاصِقِينَ . فَإِذَا ثَارَ الْبَحْرُ ، وَهَاجَتِ الْأَمْوَاجُ ، غَمَرَتْنَا وَنَحْنُ وَاقِفُونَ ... وَحَمْدًا للهِ عَلَى هذَا الْمَلْجَأِ ، الَّذِي نَقْضِي فِيهِ اللَّيْلَ ، وَسَطَ الْبَحْرِ ، بِأَجْسَامِنَا الْبَشَرِيَّةِ، كُلَّمَا أَرَدْنَا زِيَارَةَ وَطَنِنَا الْعَزِيزِ .

" إِنَّ زَوْجَةَ أَبِينَا الشِّرِّيرَةَ ، حِينَ سَحَرَتْنَا ، سَمَحَتْ لَنَا أَنْ نَزُورَ وَطَنَنَا ، زِيَارَةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ ، وَسَمَحَتْ لَنَا أَنْ نَقْضِيَ فِي هذِهِ الْغَابَةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا . وَمِنَ الْغَابَةِ نَرَى الْقَصْرَ الَّذِي شَهِدَ مَوْلِدَنَا ، وَنُشَاهِدُ قُبَّةَ الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَتْ فِيهِ أُمُّنَا ...

وَقَدْ مَضَى عَلَيْنَا ، فِي هذَا الْمَكَانِ ، تِسْعَةُ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا إِلا يَوْمَانِ ، ثُمَّ نَطِيرُ إِلَى حَيْثُ نَعِيشُ طُولَ الْعَامِ ... يَجِبُ أَنْ تَذْهَبِي مَعَنَا ، إِلَى مَا وَرَاءَ هذَا الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ، فَنَعِيشَ كُلُّنَا هُنَاكَ ، فِي هذَا الْبَلَدِ الْبَعِيدِ ... وَلكِنْ كَيْفَ نَتَمَكَّنُ مِنْ أَخْذِكِ مَعَنَا ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا

زَوْرَقٌ وَلا سَفِينَةٌ ؟

وَسَهِرَ الْأُمَرَاءُ وَأُخْتُهُمْ طُولَ اللَّيْلِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَيُفَكِّرُونَ فِي طَرِيقَةٍ تُخَلِّصُهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، وَتُعِيدُهُمْ إِلَى وَطَنِهِمْ . فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، تَحَوَّلَ الْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَحَلَّقُوا فِي الْهَوَاءِ، إِلا أَصْغَرَهُمْ ، فَإِنَّهُ بَقِيَ بِجَانِبِ أُخْتِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا، فَأَخَذَتْ هِيَ تُدَاعِبُ جَنَاحَيْهِ ، وَالدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهَا ...

وَقُبَيْلَ الْغُرُوبِ رَجَعَ الْإِخْوَةُ الْعَشَرَةُ ، وَأَحَاطُوا بِأُخْتِهِمْ وَأَخِيهِمُ الصَّغِيرِ ، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ تَمَاماً ، فَعَادُوا إِلَى هَيْئَتِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ ...

وَقَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ : " غَداً نُسَافِرُ ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى هذَا الْمَكَانِ ، إِلا بَعْدَ سَنَةٍ ، وَلا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَكِ وَحْدَكِ هُنَا ... إِنَّ جَنَاحَيَّ تَحْمِلانِكِ فَوْقَ الْغَابَةِ ، وَإِنَّ أَجْنِحَتَنَا مُجْتَمِعَةً ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْبُرَ بِكِ الْبَحْرَ ... فَمَا رَأْيُكِ ؟ " فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ : " خُذُونِي مَعَكُمْ . أَنَا لا أُطِيقُ الْحَيَاةَ بَعِيداً عَنْكُمْ ! "

قَضَى الْإِخْوَةُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، يَصْنَعُونَ شَبَكَةً مِنْ سِيقَانِ الْخَيْزُرَانِ ، وَأَغْصَانِ الصَّفْصَافِ اللَّيِّنَةِ ... ثُمَّ نَامَتِ الْأَمِيرَةُ فَوْقَ الشَّبَكَةِ . فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَتَحَوَّلَ الْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ ، حَمَلُوا الشَّبَكَةَ بِمَنَاقِيرِهِمْ ، والْأَمِيرَةُ نَائِمَةٌ فَوْقَهَا ، وَطَارُوا بَيْنَ السُّحُبِ . وَحَلَّقَ الْأَخُ الصَّغِيرُ ، فَوْقَ رَأْسِ أُخْتِهِ النَّائِمَةِ ، لِيَحْجُبَ عَنْهَا أَشِعَّةَ الشَّمْسِ !

اسْتَيْقَظَتِ الْأَمِيرَةُ ، فَرَأَتْ نَفْسَهَا طَائِرَةً فَوْقَ الْبَحْرِ ، بَيْنَ إِخْوَتِهَا

الْبَجَعَاتِ الْمُتَوَحِّشَاتِ ، وَوَجَدَتْ بِجَانِبِهَا – عَلَى الشَّبَكَةِ – غُصْناً مَمْلُوءاً بِالتُّفَّاحِ ، وَشَاهَدَتْ أَخَاهَا الصَّغِيرَ ، يُرَفْرِفُ فَوْقَهَا ، وَيَحْجُبُ عَنْ وَجْهِهَا أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ، فَتَبَسَّمَتْ لَهُ ، وَكَأَنَّهَا فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ ! ...

وَارْتَفَعَتِ الْبَجَعَاتُ ارْتِفَاعاً عَظِيماً ، حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُمُ السَّفِينَةُ الْكَبِيرَةُ ، الَّتِي كَانَتْ تَشُقُّ الْبَحْرَ تَحْتَهُمْ ، كَأَنَّهَا عُصْفُورٌ صَغِيرٌ فَوْقَ الْمَاءِ !

ثُمَّ مَالَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ ، وَاقْتَرَبَ اللَّيْلُ ، وَلَمْ تَظْهَرِ الصَّخْرَةُ

الصَّغِيرَةُ الْوَحِيدَةُ ، الَّتي فِي وَسَطِ الْبَحْرِ ... وَرَأَتِ الْأَمِيرَةُ إِخْوَتَهَا يَهُزُّونَ أَجْنِحَتَهُمْ هَزًّا عَنِيفاً ، وَيَهْبِطُونَ مُسْرِعِينَ ، كَأَنَّهُمْ يَسْقُطُونَ ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَرْتَفِعُونَ . فَنَدِمَتْ ، وَأَخَذَتْ تَبْكِي ، وَتَلُومُ نَفْسَهَا ؛ لأَنَّهَا كَانَتِ السَّبَبَ فِي طَيَرَانِ إِخْوَتِهَا طَيَرَاناً بَطِيئاً ...

يَا لَلْحَسْرَةِ ! وَيَا لَلْمُصِيبَةِ ! فَلَوْ غَابَتِ الشَّمْسُ – وَهُمْ لا يَزَالُونَ طَائِرِينَ – لَعَادُوا بَشَراً ، وَلَسَقَطُوا جَمِيعاً فِي الْبَحْرِ وَغَرِقُوا !

وَفَجْأَةً امْتَلأَتِ السَّمَاءُ بِالسُّحُبِ السُّودِ ، وَلَمَعَ الْبَرْقُ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ عَصْفاً شَدِيداً ، وَأَوْشَكَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَلْمِسَ الْبَحْرَ . فَجَزِعَتِ الْأَمِيرَةُ وَاضْطَرَبَتْ ، وَزَادَ بُكَاؤُهَا ، وَارْتَفَعَ دُعَاؤُهَا إِلَى اللهِ ...

وَحِينَمَا ظَهَرَتِ الصَّخْرَةُ ، كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ قَدِ اخْتَفَى نِصْفُهُ فِي الْبَحْرِ ... وَعِنْدَمَا وَضَعَتِ الْبَجَعَاتُ أَرْجُلَهَا عَلَى الصَّخْرَةِ ، كَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ صَارَتْ كَنَجْمٍ صَغِيرٍ . فَلَمَّا غَابَتْ ، وَانْطَفَأَ نُورُهَا ، كَآخِرِ شَرَارَةٍ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَرِقُ ، رَأَتِ الْأَمِيرَةُ نَفْسَهَا وَاقِفَةً ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتُهَا ،

كُلٌّ مِنْهُمْ يُمْسِكُ بِيَدِ أَخِيهِ ، وَالْأَمْوَاجُ تَلْطِمُ الصَّخْرَةَ ، وَتَعْلُو فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ، وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ ، وَالرَّعْدُ يُدَوِّي ، وَالْمَطَرُ يَنْهَمِرُ غَزِيرًا .

قَضَتِ الْأَمِيرَةُ وَإِخْوَتُهَا اللَّيْلَ وَاقِفِينَ ، مُتَلاصِقِينَ ، يَدْعُونَ اللهَ ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُنْقِذَهُمْ ، مِنْ هذِهِ الْعَاصِفَةِ الْمُفَاجِئَةِ . وَعِنْدَ الْفَجْرِ هَدَأَتِ الرِّيحُ ، وَصَفَتِ السَّمَاءِ ... ثُمَّ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، فَطَارَتِ الْبَجَعَاتُ ، حَامِلَةً الْأَمِيرَةَ فَوْقَ الشَّبَكَةِ .

وَفِي أَثْنَاءِ طَيَرَانِهِمْ ، شَاهَدَتِ الْأَمِيرَةُ جِبَالاً ثَلْجِيَّةً ، كَأَنَّهَا سَابِحَةٌ فِي الْفَضَاءِ وَبَيْنَهَا قَصْرٌ فَخْمٌ ، عَالٍ عُلُوَّ الْجِبَالِ نَفْسِهَا ، حَوْلَهُ غَابَاتٌ مُمْتَدَّةٌ ، وَبَسَاتِينُ وَاسِعَةٌ ؛ فَسَأَلَتْ إِخْوَتَهَا : " أَتَنْزِلُونَ هُنَا ؟ " فَهَزُّوا رُؤُوسَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لا ... وَمَازَالُوا طَائِرِينَ ، حَتَّى عَبَرُوا الْبَحْرَ الْكَبِيرَ ، وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ هَبَطُوا أَمَامَ كُوخٍ صَغِيرٍ ، تُحِيطُ بِهِ الْأَعْشَابُ وَالْأَزْهَارُ ، كَأَنَّهَا بِسَاطٌ أَخْضَرُ مَنْقُوشٌ .

وَتَنَاوَلُوا عَشَاءَهُمْ ، مِنَ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ ، الَّتِي تَمْلأُ الْمَكَانَ ،

وَجَلَسُوا يَتَسَامَرُونَ سَاعَةً . ثُمَ أَمْسَكَ الْأَخُ الصَّغِيرُ بِيَدِ أُخْتِهِ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِنَوْمِهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ لَهَا : " لِتَكُنْ أَحْلامُكِ جَمِيلَةً ، يَا أُخْتِي الْعَزِيزَةَ ! " ...

نَامَتِ الْأَمِيرَةُ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي إِخْوَتِهَا ، فَرَأَتْ فِي نَوْمِهَا سَيِّدَةً جَمِيلَةً ، تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَقْتَرِبُ مِنْهَا ، وَتَقُولُ لَهَا : "فِي اسْتِطَاعَتِكِ – أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الطَّاهِرَةُ – أَنْ تُخَلِّصِي إِخْوَتَكِ مِنْ سِحْرِهِمْ، لَوْ تَشَجَّعْتِ ، وَثَابَرْتِ ، وَتَحَمَّلْتِ الْأَوْجَاعَ وَالْآلامَ ... انْظُرِي! إِنَّ حَوْلَ هذَا الْكُوخِ ، نَبَاتاً ذَا وَبَرٍ حَادٍّ ، يَقْرُصُ مِنْ يَمَسُّهُ ، وَلِهذَا يُسَمِّيهِ النَّاسُ الْقُرَّاصَ . إِنَّهُ كَثِيرٌ ، وَلكِنَّ أَجْوَدَهُ مَا يَنْبُتُ حَوْلَ الْقُبُورِ ... لا تَنْسَيْ شَيْئًا مِمَّا أَقُولُ لَكِ الْآنَ : اقْطِفِي هذَا الْقُرَّاصَ ... سَوْفَ تَمْتَلِئُ بَشَرَتُكِ بِالْقُرُوحِ ، كُلَّمَا لَمَسْتِهِ ؛ وَلكِنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ إِخْوَتَكِ ... اغْزِلِي هذَا الْقُرَّاصَ خُيُوطًا ، ثُمَّ اصْنَعِي مِنْ خُيُوطِهِ ، أَحَدَ عَشَرَ قَمِيصًا ، بِأَكْمَامٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَلْقِي هذِهِ

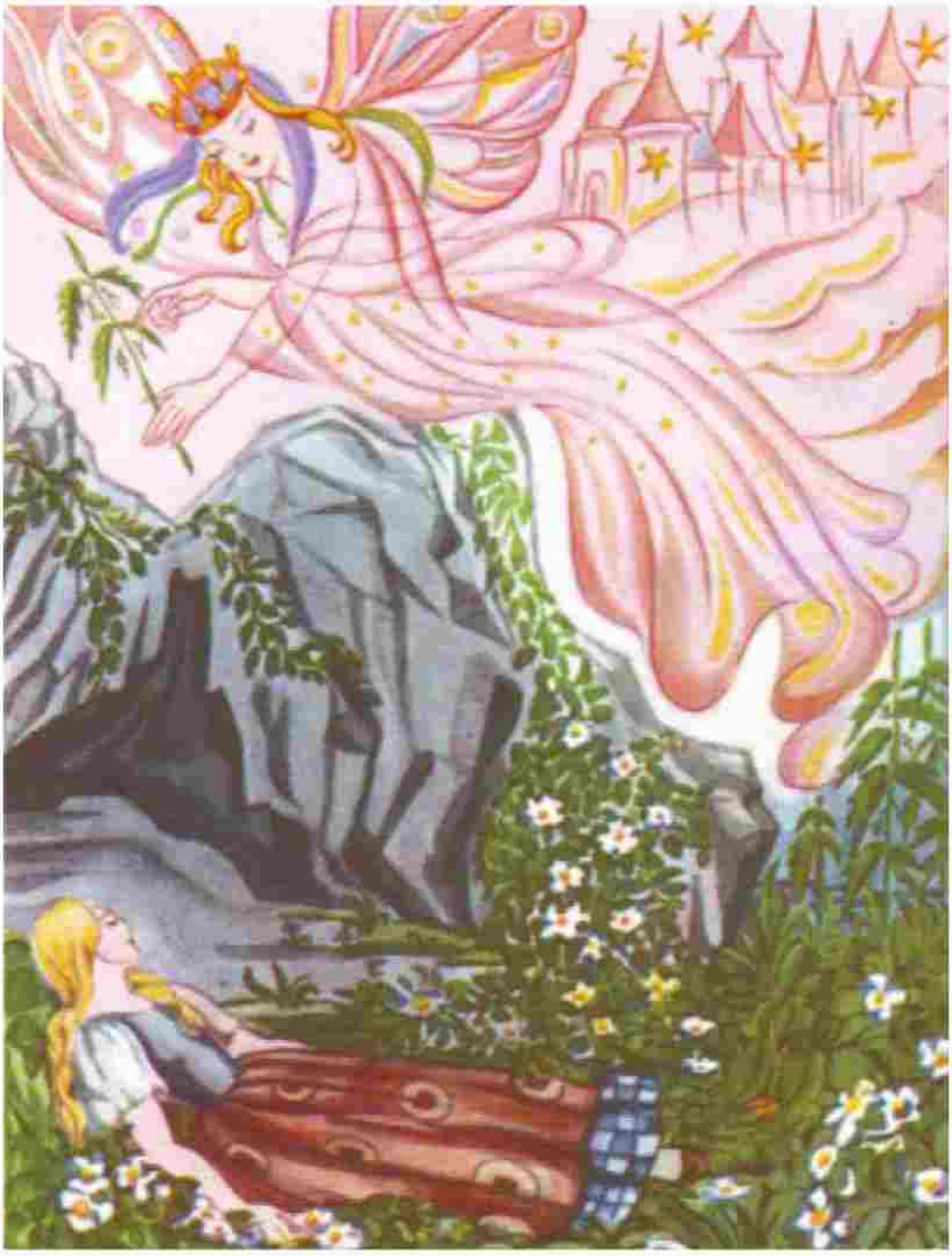

الْقُمْصَانَ عَلَى إِخْوَتِكِ ، فَيَبْطُلَ السِّحْرُ ، وَيَعُودُوا بَشَرًا كَمَا كَانُوا ...

" وَإِذَا بَدَأْتِ الْعَمَلُ فَاصْمُتِي ، وَلا تَتَكَلَّمِي أَبَدًا ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الْقُمْصَانُ كُلُّهَا ، وَلَو اسْتَمَرَّ الْعَمَلُ سِنِينَ طَوِيلَةً ... إِنَّ حَيَاةَ إِخْوَتِكِ مُعَلَّقَةٌ بِلِسَانِكِ ، وَإِنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَلْفُظِينَهَا ، قَبْلَ انْتِهَاءِ الْعَمَلِ ، تَصِيرُ خِنْجَرًا قَاتِلاً ، يُصِيبُ قَلْبَ إِخْوَتِكِ ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ ... لا تَنْسَيْ شَيْئًا مِمَّا نَصَحْتُكِ بِهِ ... تَأَمَّلِي ! هذَا هُوَ الْقُرَّاصُ ! " ...

اسْتَيْقَظَتِ الْأَمِيرَةُ فَزِعَةً مَذْعُورَةً ، وَكَأَنَّ نَارًا قَدْ أَصَابَتْ يَدَهَا ، لأَنَّ السَّيِّدَةَ الْجَمِيلَةَ لَمَسَتْهَا بِقُرَّاصٍ كَانَ مَعَهَا ! ...

وَسَارَتِ الْأَمِيرَةُ فِي الْبَسَاتِينِ الْوَاسِعَةِ ، الَّتِي حَوْلَ الْكُوخِ ، فَرَأَتْ شُجَيْرَاتِ قُرَّاصٍ ، تُشْبِهُ مَا شَهِدَتْهُ فِي حُلْمِهَا ، فَسَجَدَتْ شُكْرًا للهِ ؛ ثُمَّ أَخَذَتْ تَجْمَعُ الشُّجَيْرَاتِ الْمُحْرِقَةَ ، مُتَحَمِّلَةً الْأَلَمَ الشَّدِيدَ ، رَغْبَةً فِي خَلاصِ إِخْوَتِهَا الْأَعِزَّاءِ ؛ ثُمَّ سَحَقَتْ سِيقَانَ الشُّجَيْرَاتِ ، بِرِجْلَيْهَا الْعَارِيَتَيْنِ ، وَكَوَّنَتْ مِنْهَا خُيُوطًا خُضْرًاء ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ الْقُمْصَانَ ...

وَلَمَّا عَادَ إِخْوَتُهَا ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أَفْزَعَهُمْ أَنْ رَأَوْا أُخْتَهُمْ صَامِتَةً لا تَتَكَلَّمُ . وَظَنُّوا أَنَّ هذَا سِحْرٌ جَدِيدٌ ، مِنْ عَمَلِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ، فَحَزِنُوا حَزْنًا شَدِيدًا ؛ وَلكِنَّهَا أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِرَأْسِهَا ، وَأَرَتْهُمْ مَا تَنْسِجُ بِيَدَيْهَا ، فَفَهِمُوا أَنَّهَا قَدْ نَذَرَتِ الصَّمْتَ .

أَمَّا الْأَخُ الصَّغِيرُ ، فَارْتَمَى عَلَى أُخْتِهِ ،وَأَخَذَ يَحْتَضِنُهَا ، وَيَبْكِي ، فَكَانَتْ دُمُوعُهُ ، إِذَا سَالَتْ عَلَى قُرُوحِهَا ، شَفَتْهَا وَأَزَالَتْ أَثَرَهَا !

وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام ، بَيْنَمَا كَانَتْ الْأَمِيرَةُ أَمَامَ الْكُوخِ ، جَالِسَةً تَنْسِجُ كَعَادَتِهَا ، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتَ بُوقٍ يُدَوِّي فِي الْغَابَةِ ، فَارْتَاعَتْ ، وَمَلأَ الْخَوْفُ قَلْبَهَا ... وَأَخَذَ صَوْتُ الْبُوقِ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَيَقْتَرِبُ مَعَهُ نُبَاحُ كِلابٍ ، فَجَمَعَتِ الْقُرَّاصَ ، وَحَزَمَتْهُ ، وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَ كَلْبٌ كَبِيرٌ ، مِنْ كِلابِ الصَّيْدِ ، وَتَبِعَهُ ثَانٍ وَثَالِثٌ وَرَابِعٌ . وَأَحَاطَتِ الْكِلابُ بِالْأَمِيرَةِ ، وَأَخَذَتْ تَنْبَحُ ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ ، وَصَلَ

الصَّيَّادُونَ ، وَهُمْ مَلِكُ الْبِلادِ وَبَعْضُ حَاشِيَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ .

نَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى الْأَمِيرَةِ ، فَإِذَا هِيَ أَجْمَلُ فَتَاةٍ ، رَآهَا فِي حَيَاتِهِ ، فَمَالَ قَلْبَهُ إِلَيْهَا ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهَا ، وَسَأَلَهَا : " مَنْ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ اللَّطِيفَةُ ؟! "

هَزَّتِ الْأَمِيرَةُ رَأْسَهَا ، وَلَمْ تَنْطِقْ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : " تَكَلَّمِي ! ... كَيْفَ تَعِيشِينَ هُنَا ؟ وَمَعَ مَنْ تَعِيشِينَ ؟ " فَظَلَّتْ صَامِتَةً ، فَعَادَ الْمَلِكُ يَقُولُ : " لا يَلِيقُ بِفَتَاةٍ جَمِيلَةٍ مِثْلِكِ ، أَنْ تَعِيشَ فِي هذَا الْكُوخِ... تَعَالَيْ مَعِي ... لَوْ ظَهَرَ أَنَّكِ طَيِّبَةٌ ، مِثْلَمَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ ، فَإِنِّي أُسْكِنُكِ أَفْخَمَ قَصْرٍ ، وَأُلْبِسُكِ الْحَرِيرَ وَالْمُخْمَلَ ، وَأَضَعُ عَلَى رَأْسِكِ تَاجًا ، مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ النَّادِرَةِ " . ثُمَّ أَمَرَ أَحَدَ الضُّبَّاطِ ، فَحَمَلَ

الْأَمِيرَةَ ، وَهِيَ تَبْكِي وَتَتَلَوَّى ، وَأَرْكَبَهَا وَرَاءَ الْمَلِكِ ...

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ، أَخَذَتِ الْوَصِيفَاتُ يُزَيِّنَّ الْأَمِيرَةَ، وَيُلْبِسْنَهَا ثِيَابًا مَلَكِيَّةً فَاخِرَةً، وَيُجَدِّ شَعْرَهَا بِالْجَوَاهِرِ ... وَقَدْ وَضَعْنَ فِي يَدَيْهَا قُفَّازَيْنِ رَقِيقَيْنِ نَاعِمَيْنِ ، حَتَّى لا تَظْهَرَ الْقُرُوحُ الَّتِي فِيهِمَا... وَبَدَتِ الْأَمِيرَةُ فِي الثِّيَابِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي الدُّنْيَا . وَأُعْجِبَ كُلُّ مَنْ فِي الْقَصْرِ ، بِجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا ؛ وَكَانُوا جَمِيعًا يَنْحَنُونَ أَمَامَهَا ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّهَا تَنْطِقُ وَتُكَلِّمُهُمْ ...

أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدِ امْتَلأَ قَلْبُهُ بِحُبِّهَا ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ الْبُعْدَ عَنْهَا ، وَكَانَ شَابًّا فَتِيًّا ، لَمْ يَتَزَوَّجْ ، فَاخْتَارَهَا زَوْجَةً لَهُ ، وَشَرِيكَةً لِحَيَاتِهِ ، فَعَمَّتِ الْأَفْرَاحُ الْبِلادَ ، وَأُقِيمَتِ الزِّينَاتُ ، وَصَدَحَتِ الْمُوسِيقَى ، وَغَنَّتِ الْمُغَنِّيَاتُ ، وَرَقَصَتِ الرَّاقِصَاتُ ، وَوُزِّعَتْ عَلَى الْفُقَرَاءِ الْمَلابِسُ وَالْهِبَاتُ .

وَأَصْبَحَتِ ابْنَةُ الْغَابَةِ مَلِكَةَ الْبِلادِ ، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ صَامِتَةً ، لا تَنْطِقُ وَلا تَتَبَسَّمُ ، وَلا يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهَا غَيْرُ الْحُزْنِ .

وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى الْحَفْلُ ، سَارَ الْمَلِكُ وَعَرُوسُهُ ، حَتَّى وَصَلا إِلَى إِحْدَى الْغُرَفِ ، فَفَتَحَهَا ، وَقَالَ لَهَا : " هذِهِ حُجْرَتُكِ الْخَاصَّةُ ! " وَأَدَارَتِ الْمَلِكَةُ نَظَرَهَا فِي الْغُرْفَةِ ، فَرَأَتْهَا مَفْرُوشَةً بِبِسَاطٍ ثَمِينٍ أَخْضَرَ مَنْقُوشٍ ، يُشْبِهُ الْعُشْبَ وَالزَّهْرَ ، الَّذِي حَوْلَ كُوخِ إِخْوَتِهَا ، وَشَاهَدَتْ عَلَى الْبِسَاطِ حُزْمَةَ خُيُوطِ الْقُرَّاصِ ، وَالْقُمْصَانَ الَّتِي نَسَجَتْهَا ، فَاحْمَرَّ خَدَّاهَا ، وَمَالَتْ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ وَقَبَّلَتْهَا ، دُونَ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، وَلكِنَّ نَظَرَاتِهَا كَانَتْ تَنْطِقُ بِحَنَانٍ عَمِيقٍ ، وَحُبٍّ شَدِيدٍ ...

وَقَالَ الْمَلِكُ لِعَرُوسِهِ : " سَتَجِدِينَ هُنَا كُلَّ مَا تُحِبِّينَ ، وَسَتَعِيشِينَ أَسْعَدَ حَيَاةٍ ... وَلَقَدْ أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ هذِهِ الْحُزْمَةِ ، وَتِلْكَ الْقُمْصَانِ ،

لأَنِّي رَأَيْتُكِ تَحْرِصِينَ عَلَيْهَا ... " فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ بَاكِيَتَيْنِ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ ، لأَنَّ أَيَّ كَلِمَةٍ تَقُولُهَا تُهْلِكُ إِخْوَتَهَا !

وَكُلَّمَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ ، ازْدَادَتْ حُبًّا لِلْمَلِكِ ، وَازْدَادَ الْمَلِكُ حُبًّا لَهَا ، فَقَدْ كَانَتْ تَفْعَلُ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُ لِتُسْعِدَهُ ، وَتُدْخِلَ السُّرُورَ إِلَى قَلْبِهِ . أَمَّا حَدِيثُهَا مَعَهُ ، وَمَعَ الْوَصِيفَاتِ وَالْخَدَمِ ، فَكَانَ بِحَرَكَاتِ يَدَيْهَا ، وَإِشَارَاتِ عَيْنَيْهَا .

وَفِي سُكُونِ اللَّيْلِ ، كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى حُجْرَتِهَا الْخَاصَّةِ ، وَتَبِيتُ سَاهِرَةً إِلَى الصَّبَاحِ تَنْسِجُ ، حَتَّى أَتَمَّتْ سِتَّةَ قُمْصَانٍ ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ السَّابِعَ ... ثُمَّ انْتَهَى الْخَيْطُ ! فَمَاذَا تَفْعَلُ ، وَالْقُرَّاصُ الْجَيِّدُ لا يَنْبُتُ إِلا حَوْلَ الْمَقَابِرِ ، وَمِنَ الْوَاجِبِ أَنْ تَقْطِفَهُ بِنَفْسِهَا ؟ ...

قَطَعَتِ الدَّهَالِيزَ الطَّوِيلَةَ ، وَسَارَتْ فِي الْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَهِيَ تَرْجُفُ ، كَمَنْ يُقْدِمُ عَلَى خَطِيئَةٍ كَبِيرَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الشَّوَارِعِ الْخَالِيَةِ الْمُوحِشَةِ ، وَأَخَذَتْ تَمْشِي ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْقُبُورِ ... وَهُنَاكَ

رَأَتْ جَمَاعَةً مِنَ السَّاحِرَاتِ ، تَمْشِي بَيْنَ الْمَدَافِنِ ، فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِنّ لَمْ تَخَفْ مِنْ شَكْلِهِنَّ الْمُخِيفِ وَنَظَرَاتِهِنَّ الْقَاسِيَةِ ، وَلا رَدَّتْ عَلَى أَسْئِلَتِهِنَّ الْكَثِيرَةِ ، بَلْ أَخَذَتْ تَسِيرُ بَيْنَهُنَّ صَامِتَةٌ ، وَمَضَتْ تَقْطِفُ الْقُرَّاصَ الْمُحْرِق ...

وَكَانَ أَحَدُ الضُّبَّاطِ قَدْ شَاهَدَهَا ، وَهِيَ تُغَادِرُ الْقَصْرَ ، وَتَبِعَهَا . فَلَمَّا رَآهَا تَسِيرُ بَيْنَ السَّاحِرَاتِ ، الْبَشِعَاتِ ، اعْتَقَدَ أَنَّ بِنْتَ الْغَابَةِ

الْجَمِيلَةَ ، الَّتي صَارَتْ مَلِكَةَ الْبِلادِ ، لَيْسَتْ إِلا سَاحِرَةً ، خَدَعَتِ الْمَلِكَ ، وَخَدَعَتِ الشَّعْبَ جَمِيعَهُ .

وَأَسْرَعَ هذَا الْضَّابِطُ إِلَى الْمَلِكِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ سَاحِرَةٌ ، تَذْهَبُ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَقَابِرِ ، وَتَجْمَعُ الْأَعْشَابَ الَّتي تَنْبُتُ حَوْلَهَا ! فَحَزِنَ الْمَلِكُ ، وَسَقَطَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ ، وَمَزَّقَ الْغَمُّ قَلْبَهُ ، وَقَضَى لَيَالِيَ كَثِيرَةً لا يَذُوقُ فِيهَا النَّوْم ، وَصَارَ يُرَاقِبُ زَوْجَتَهُ ، بِدُونِ أَنْ تَشْعُرَ ، وَيَتْبَعُهَا كُلَّمَا ذَهَبَتْ إِلَى الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ .

كَانَ وَجْهُ الْمَلِكِ يَكْمَدُ ، وَيَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْم ، وَلاحَظَتِ الْمَلِكَةُ الْمِسْكِينَةُ هذَا التَّغَيُّرِ ، وَلكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ لَهُ سَبَباً ، فَزَادَتْ هُمُومُهَا وَأَحْزَانُهَا ، وَأَخَذَتْ دُمُوعُهَا تَتَسَاقَطُ عَلَى الْمَخْمَلِ وَالْحَرِيرِ، كَالْأَلْمَاسِ الْبَرَّاقِ ! وَلكِنَّهَا لَمْ تَفْقِدْ شَجَاعَتَهَا وَصَبْرَهَا ، بَلْ وَاصَلَتْ عَمَلَهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلا قَمِيصٌ وَاحِدٌ ... وَانْتَهَى الْخَيْطُ !

وَوَجَدَتِ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا مُضْطَرَّةً ، مَرَّةً أُخْرَى ، إِلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى

الْمَقَابِرِ ، لِتَقْطِفَ الْقُرَّاصَ ، وَكَانَتْ ضَيِّقَةَ الصَّدْرِ بِوَحْشَةِ الْقُبُورِ ، وَبِمَنْظَرِ السَّاحِرَاتِ ذَوَاتِ الْوُجُوهِ الْقَبِيحَةِ ، وَلكِنَّهَا كَانَتْ قَوِيَّةَ الْإِرَادَةِ ، عَظِيمَةَ الثِّقَةِ بِاللهِ ، شَدِيدَةَ الرَّغْبَةِ فِي خَلاصِ إِخْوَتِهَا ، مَهْمَا تَحَمَّلَتْ مِنْ آلام .

فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، خَرَجَتْ مِنَ الْقَصْرِ . وَفِي هذِهِ الْمَرَّةِ تَبِعَهَا الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ ، وَمَعَهُ الضَّابِطُ الَّذِي رَآهَا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ ، فَشَاهَدَهَا تَسِيرُ بَيْنَ الْقُبُورِ . وَلَمَحَا السَّاحِرَاتِ الْبَشِعَاتِ ، فَتَرَاجَعَ الْمَلِكُ مُشْمَئِزًّا ، وَقَالَ : " فَلْيُحَاكِمْهَا الشَّعْبُ ! " ...

وَقُبِضَ عَلَى الْمِسْكِينَةِ ، وَأُلْقِيَتْ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ مُخِيفٍ ، لَيْسَ فِيهِ إِلا نَافِذَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ ، ذَاتُ قُضْبَانٍ مِنْ حَدِيدٍ ؛ فَأَخَذَتْ تُصَلِّي وَتَبْكِي ، وَتَدْعُو اللهَ ، وَتَتَوَسَّلُ إِلَيهِ أَنْ يُنَجِّيَهَا ، وَيُظْهِرَ بَرَاءَتَهَا .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي ، إِذْ وَقَفَتْ عَلَى قُضْبَانِ النَّافِذَةِ بَجَعَةٌ صَغِيرَةٌ ، وَأَخَذَتْ تُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا ... إِنَّهُ أَخُوهَا

الصَّغِيرُ ، لا شَكَّ أَنَّ إِخْوَتَهَا لَيْسُوا بَعِيدِينِ عَنْهَا . فَيَا لَلْفَرَحِ !

وَفَجْأَةً مَلأَ النُّورُ الْحُجْرَةَ ، وَوَقَفَ بُلْبُلٌ عَلَى قُضْبَانِ النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يُغَنِّي بِصَوْتِهِ الْجَمِيلِ الْحَنُونِ ، وَامْتَلأَتِ الْحُجْرَةُ بِفِئْرَانٍ بِيضٍ صِغَارٍ ، كَانَتْ تَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَجُرُّ الْقُرَّاصَ وَالْقُمْصَانَ ، وَتَضَعُهَا عِنْدَ قَدَمَيْهَا ! ... حَمْدًا لَكَ يَا رَبِّ وَشُكْرًا ...

وَقَضَتِ الْمَلِكَةُ اللَّيْلَ كُلَّهُ سَاهِرَةً ، تَنْسِجُ الْقَمِيصَ الْأَخِيرَ !

وَقُبَيْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَقَفَ أَمَامَ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ، أَحَدَ عَشَرَ فَتًى شَرِيفًا ، وَطَلَبُوا أَنْ يُقَابِلُوا الْمَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُرَاسُ : " إِنَّ الْوَقْتَ لَيْلٌ ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تُقَابِلُوا الْمَلِكَ الْآنَ " . فَأَخَذَ الْفِتْيَانُ يَرْجُونَ الْحَرَسَ تَارَةً ، وَيُهَدِّدُونَهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، وَهُمْ يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ ... ثُمَّ ظَهَرَتِ الشَّمْسُ ، فَاخْتَفَى الْأَحَدَ عَشَرَ فَتًى ، وَانْقَلَبُوا إِلَى إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً مُتَوَحِّشَةً ، طَارَتْ وَحَطَّتْ فَوْقَ الْقَصْرِ ...

وَجَاءَ الْقُضَاةُ إِلَى السِّجْنِ ، لِيُعِيدُوا سُؤَالَ الْمَلِكَةِ عَنْ جَرِيمَتِهَا ،

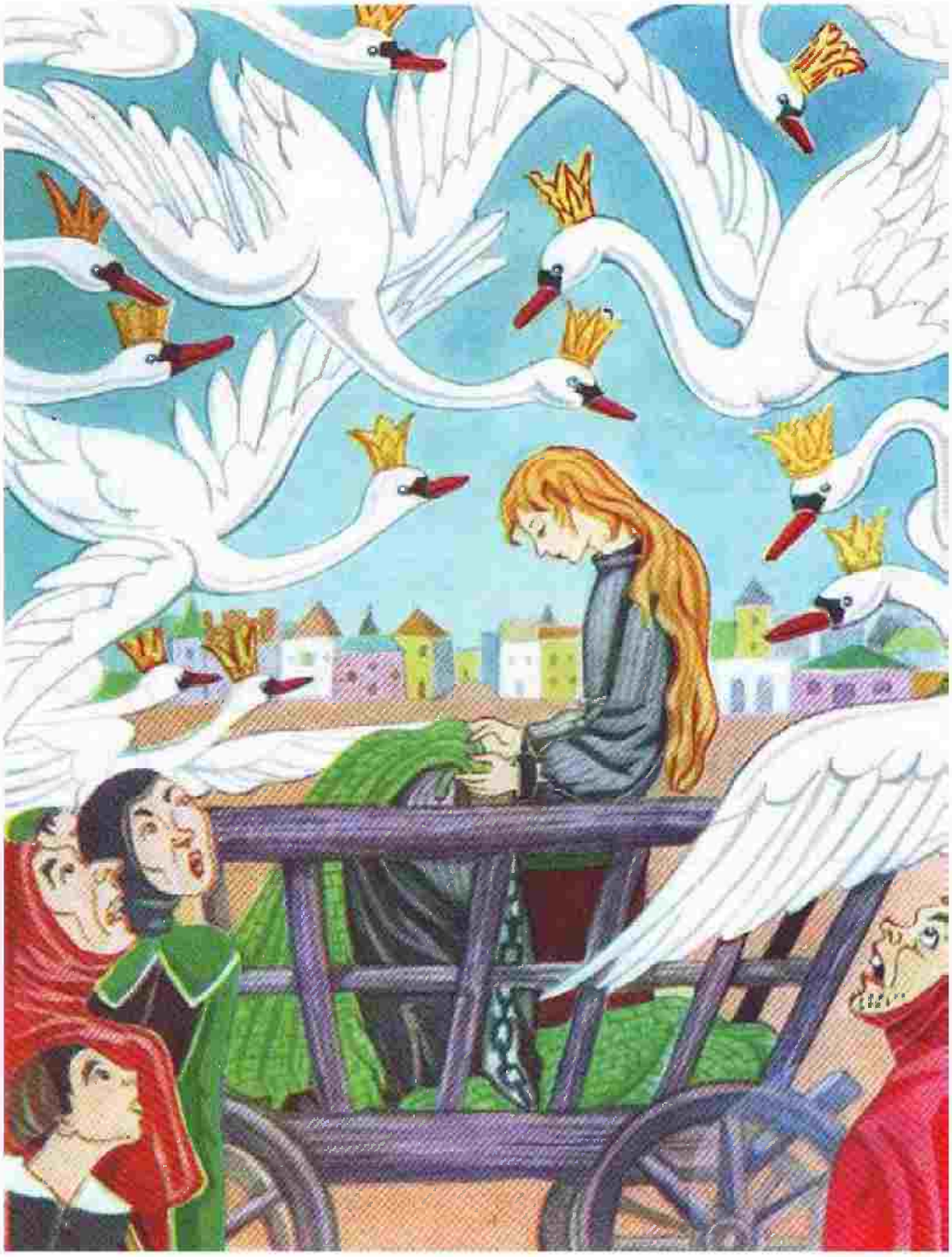

فَلَمْ تَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، بَلْ هَزَّتْ رَأْسَهَا ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِمْ ، كَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُمْ : لا تُلِحُّوا فِي سُؤَالِي ، فَلَنْ أَتَكَلَّمَ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهَا أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ حَكَمَ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ حَرْقاً ، وَأَنَّهَا – إِنْ لَمْ تُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهَا – تُحْرَقُ عِنْدَ الظُّهْرِ ، فَتَحَتْ فَمَهَا ، وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، لَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ أَنَّ إِخْوَتَهَا يَهْلِكُونَ لَوْ نَطَقَتْ ، وَأَنَّ عَذَابَهَا الْأَلِيمَ ، وَدُمُوعَهَا الْغَزِيرَةَ ، وَسَهَرَهَا الطَّوِيلَ ، يَضِيعُ كُلُّهُ بِلا فَائِدَةٍ ، فَلَزِمَتِ السُّكُوتَ .

وَعِنْدَ الظُّهْرِ أُخْرِجَتْ مِنَ السِّجْنِ ، وَأُرْكِبَتْ عَرَبَةً حَقِيرَةً يَجُرُّهَا حِصَانٌ هَزِيلٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتُرُ جِسْمَهَا غَيْرُ قَمِيصٍ خَشِنٍ . وَكَانَ شَعْرُهَا الذَّهَبِيُّ يَتَدَلَّى عَلَى ظَهْرِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا أَصْفَرَ ، كَصُفْرَةِ الْأَمْوَاتِ ، وَشَفَتَاهَا تَرْتَجِفَانِ ، كَأَنَّهَا تَدْعُو اللهَ هَمْساً ، أَمَّا أَصَابِعُهَا فَكَانَتْ تَنْسِجُ الْخُيُوطَ الْخُضْرَ ...

لَقَدْ كَانَتِ الْقُمْصَانُ الْعَشَرَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، وَالْقَمِيصُ الْحَادِي عَشَرَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَكَانَتِ الْعَرَبَةُ الْحَقِيرَةُ ، تَسِيرُ بِهَا بَطِيئَةً ، بَيْنَ جُمُوعٍ

الشَّعْبِ ، الَّتي تَسْخَرُ مِنْهَا وَتَلْعَنُهَا ؛ فَهذَا يَقُولُ : " انْظُرُوا كَيْفَ تُزَمْزِمُ السَّاحِرَةُ ! " ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ آخَرُ بِجَانِبِهِ : " تَأَمَّلُوا مَا تَصْنَعُهُ بِيَدَيْهَا ! " ، فَيَصِيحُ ثَالِثٌ : " إِنَّهَا لا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ سِحْرَهَا لَحْظَةً " ، ثُمَّ يَعْلُو صَوْتُ رَابِعٌ قَائِلاً : " لِنَنْزِعْ مِنْهَا هذَا النَّسِيجَ ... لِنُمَزِّقْهُ قِطَعاً ! "

وَثَارَتِ الْجُمُوعُ الْمُحْتَشِدَةُ ، وَهَمَّتْ بِالْهُجُومِ عَلَى الْبَرِيئَةِ ، وَلكِنْ ظَهَرَتْ فِي الْجَوِّ ، إِحْدَى عَشَرَةَ بَجَعَةً بَيْضَاءَ ، حَلَّقَتْ فَوْقَ الْعَرَبَةِ ، ثُمَّ حَطَّتْ عَلَى جَوَانِبِهَا ، وَأَخَذَتْ تَهُزُّ أَجْنِحَتَهَا هَزًّا عَنِيفاً مُتَوَاصِلاً ، فَتَرَاجَعَتِ الْجُمُوعُ مَذْعُورَةً ، وَأَخَذَتْ تَصِيحُ : "هذَا إِعْلانٌ مِنَ السَّمَاءِ ! لَعَلَّهَا بَرِيئَةٌ ! " ...

وَفِي وَسَطِ الْمَيْدَانِ ، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ الْحَارِسُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى يَدِ الْمَلِكَةِ ، لِيُنْزِلَهَا مِنَ الْعَرَبَةِ ، وَيُقَيِّدَهَا ، أَلْقَتْ هِيَ الْأَحَدَ عَشَرَ قَمِيصاً عَلَى الْبَجَعَاتِ ، فَتَحَوَّلَتْ فِي الْحَالِ ، إِلَى أَحَدَ عَشَرَ أَمِيراً ، عَلَى رُؤُوسِهِمْ تِيجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ ، إِلا الْأَخَ الصَّغِيرَ ، فَقَدْ لَقِيَ أَحَدُ

جَنَاحَيْهِ ، لأَنَّ قَمِيصَهُ كَانَ نَاقِصاً كُمًّا !

وَهَاجَ الشَّعْبُ ، وَعَلا صِيَاحُهُ ، وَآمَنَ بِبَرَاءَةِ مَلِكَتِهِ ، فَأَخَذَ يَهْتِفُ بِحَيَاتِهَا ، وَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ كُرْسِيِّهِ ، وَقَصَدَ إِلَى حَيْثُ كَانَتِ الْمَلِكَةُ وَاقِفَةً فِي الْعَرَبَةِ ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتُهَا ...

وَفِي هذِهِ اللَّحْظَةِ حَدَثَتْ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى ، فَقَدْ تَحَوَّلَتْ أَعْوَادُ الْحَطَبِ ، الَّتِي كَانَتْ مُجَهَّزَةً لإِحْرَاقِ الْمَلِكَةِ ، إِلَى أَشْجَارٍ مُورِقَةٍ ، مُمْتَلِئَةٍ بِالْوُرُودِ ، وَصَارَ مَيْدَانُ التَّعْذِيبِ بُسْتَاناً ، كُلُّهُ وَرْدٌ أَحْمَرُ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلا وَرْدَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْضَاءُ ، تَلْمَعُ كَالنَّجْمِ !

قَطَفَ الْمَلِكُ الوَرْدَةَ الْبَيْضَاءَ ، وَسَارَ نَحْوَ الْمَلِكَةِ ، وَوَضَعَ الْوَرْدَةَ عَلَى صَدْرِهَا ، فَابْتَسَمَتْ ، وَظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهَا عَلامَاتُ السَّعَادَةِ وَالسَّلام، وَتَكَلَّمَتْ أَمَامَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى ، وقَالَتْ : " أَشْكُرُكَ يَا مَوْلايَ ! "

ذَهِلَ الْمَلِكُ ، حِينَ سَمِعَهَا تَتَكَلَّمُ ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَرْسَاءُ ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَلُ ، فَأَخَذَ يَلْتَفِتُ يَميناً وَشِمَالاً ، وَيُحَمْلِقُ فِي وَجْهِ

الْمَلِكَةِ حِيناً ، وَفِي وُجُوهِ إِخْوَتِهَا حِيناً آخَرَ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْبَرُ الْأُمَرَاءِ ، وَانْحَنَى أَمَامَهُ ، وَحَيَّاهُ فِي أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ بِاخْتِصَارٍ ...

وَبَيْنَمَا الشَّعْبُ ذَاهِلٌ ، مَأْخُوذٌ بِمَا حَدَثَ أَمَامَهُ مِنْ عَجَائِبَ ، إِذَا بِهِ يَرَى عَجِيبَةً أُخْرَى : فَقَدْ تَحَوَّلَتْ عَرَبَةُ السِّجْنِ الْحَقِيرَةُ ، إِلَى عَرَبَةٍ مَلَكِيَّةٍ فَخْمَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ فَجَلَسَتِ الْمَلِكَةُ فِي الْوَسَطِ ، وَعَنْ يَمِينِهَا الْمَلِكُ ، وَعَنْ يَسَارِهَا أَخُوهَا الصَّغِيرُ ، ذُو الْجَنَاحِ ؛ وَأَحَاطَ بِهِمْ سَائِرُ الْإِخْوَةِ . ثُمَّ عَادَ الْجَمِيعُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، فِي مَوْكِبٍ لَمْ تَرَ الْعُيُونُ مِثْلَهُ !

وَمَكَثَ الْأُمَرَاءُ فِي ضِيَافَةِ الْمَلِكِ ، وَأُخْتِهِمُ الْمَلِكَةِ ، أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً ، ثُمَّ سَافَرُوا إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِمْ ... وَلَمَّا رَآهُمُ الشَّعْبُ يَدْخُلُونَ الْعَاصِمَةَ ، أَخَذَ يَتَجَمَّعُ حَوْلَهُمْ ، وَيَهْتِفُ بِحَيَاتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ سُرُورَهُ بِعَوْدَتِهِمْ ... وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَحَوَانِيتِهِمْ ، يَسْتَقْبِلُونَهُمْ بِالْهُتَافِ وَالتَّصْفِيقِ ، وَالطُّبُولِ وَالْمَزَامِيرِ ؛ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الْأَعْنَاقِ ،

وَذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ .

وَدَخَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ ، فَرَأَوْهُ فِي فِرَاشِهِ ، شَيْخاً كَبِيراً مَرِيضاً ، لا يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ ، فَأَحَاطُوا بِهِ ، وَالْتَفُّوا حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَقَصُّوا عَلَيْهِ مَا جَرَى لَهُمْ ، وَحَكَوْا لَهُ قِصَّةَ أُخْتِهِمْ ، وَكَيْفَ صَارَتْ مَلِكَةً عَظِيمَةً ، وَكَيْفَ خَلَّصَتْهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، فَأَثَّرَ الْفَرَحُ فِي نَفْسِهِ ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ ، فَنَهَضَ مِنْ فِرَاشِهِ ، وَأَخَذَ يَحْتَضِنُ أَوْلادَهُ وَيُقَبِّلُهُمْ ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ عَلَى خَدَّيْهِ فَرَحاً وَسُرُوراً .

أَمَّا الْمَلِكَةُ الشِّرِّيرَةُ ، فَقَدْ جُنَّتْ حِينَمَا رَأَتِ الْأُمَرَاءَ ، فَنُقِلَتْ إِلَى الْمُسْتَشْفَى ، وَقَضَتْ بَقِيَّةَ أَيَّامِهَا فِيهِ ، لا يَنْجَحُ فِيهَا الْعِلاجُ ، حَتَّى تَوَفَّاهَا اللّهُ .

وَبَعْدَ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ مَاتَ الْأَبُ ، فَتَوَلَّى الْمُلْكَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ ، وَعَاوَنَهُ إِخْوَتُهُ ، وَاتَّصَلَتْ مَمْلَكَتُهُمْ بِمَمْلَكَةِ أُخْتِهِمْ ، وَعَاشُوا بَقِيَّةَ حَيَاتِهِمْ سُعَدَاءَ ...

أسئلة على القصّة

١. لماذا تزوّج الملكُ مرّةً ثانيةً ؟ وكيف عاملت الملكة الجديدة أولادَ زوجها ؟
٢. صِف حياة الْأَمِيرَةُ في الرّيف . واذكر لماذا أشارتْ الملكة بإرسالها إلى هناك .
٣. كيف صار الأمراء بجعاتٍ متوحّشاتٍ ؟ وأين ذهبوا ؟
٤. ماذا صنعت الملكة بالْأَمِيرَةُ بعد عودتها من الرّيف ؟ ولمَ طردها أبوها ؟ وأين ذهبت؟
٥. أين قابلت الْأميرةُ السيِّدةَ العجوزَ ؟ وبماذا نصحت العجوزُ الأميرةَ ؟
٦. في أيِّ مكان التقت الأميرة بإخوتها ؟ وكيف كانت هيئتهم ؟
٧. كيف حمل الأمراء أُختهم إلى مسكنهم البعيد ؟
٨. ماذا رأت الأمير في حلمها ؟ ولماذا امتنعت عن الكلام ؟
٩. أين رأى الملكُ الشَّابُّ الأميرةَ ؟ وكيف نقلها إلى قصره الملكيّ ؟
١٠. مَن الذي تزوّج الأميرة ؟ وكيف كانت تخاطب زوجها ووصيفاتها وخدمها ؟
١١. لماذا ذهبت الملكة إلى المقابر ؟ وماذا رأت هناك ؟
١٢. لماذا حكم الشعب على ملكته بالموت حرقاً ؟
١٣. كيف أُبْطِلَ سحر الأمراء ؟ ومتى حدث ذلك ؟
١٤. لماذا صار لأصغر الأمراء ذراع إنسان وجناح بجعة ؟
١٥. اذكر العجائب التي تحدثت عند الشُّروع في إحراق الملكة .
١٦. ماذا فعل الأمراء بعد أن أُبطِل سحرهم ؟
١٧. كيف كانت نهاية الملكة الشرّيرة ؟
١٨. ماذا تستفيد من هذه القصة ؟ وهل أعجبتك ؟

رقم الإيداع	٢٠٠٥/٢٢١٧٩
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6894-1

٧/٢٠٠٥/٧٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

المكتبة الخضراء للأطفال

روائع من القصص ، تتألق بالخيال والأسطورة تقدمها « دار المعارف » لناشئة الأقطار العربية فيجدون فيها ما يناسب خيالهم ويساير أرواحهم وتطلعاتهم ، فى إطار التعبير الجيد والحروف المشكولة ، والإخراج الفنى المزين بالرسوم واللوحات الملونة .

وهى قصص يعتز بها كل فتى وفتاة ، ويعتز بها أولياء أمور أبنائنا ورجال التربية والتعليم ، فهى تغذى النشء وترفع نفوسهم وتوجههم الوجهة الصحيحة إلى طريق الخير والجمال .

صدر منها :

١ - أطفال الغابة
٢ - سندريلا
٣ - السلطان المسحور
٤ - القداحة العجيبة
٥ - البجعات المتوحشات
٦ - الأميرة الحسناء
٧ - الرفيق المجهول
٨ - الأميرة والثعبان
٩ - الملك عادل
١٠ - البلبل
١١ - الأنف العجيب
١٢ - الجميلة النائمة
١٣ - عروس البحر
١٤ - عقلة الأصبع
١٥ - الأخوات الثلاث
١٦ - البنت والأسد
١٧ - المغامر الجرىء
١٨ - قصير الذيل
١٩ - الليمون العجيب
٢٠ - فى جزيرة النور
٢١ - الفأرة البيضاء
٢٢ - جبل العجائب
٢٣ - أليس فى بلاد العجائب
٢٤ - الراعى الشجاع
٢٥ - الصياد الماهر
٢٦ - الكرة الذهبية
٢٧ - الشاطر محظوظ
٢٨ - الحصان الطيار
٢٩ - أميرة القصر الذهبى
٣٠ - دنانير لبلبة
٣١ - نهر الذهب
٣٢ - خاتم السلطان
٣٣ - المرآة السحرية
٣٤ - بنات الصياد
٣٥ - الوزير الحكيم
٣٦ - سر اللحية البيضاء
٣٧ - سر الشعر الأسود
٣٨ - القدم الذهبية
٣٩ - الرحلة العجيبة لعروس النيل
٤٠ - سر العلبة الذهبية
٤١ - التاج المسحور
٤٢ - عفاريت نصف الليل
٤٣ - النجم الكبير
٤٤ - مملكة العدل
٤٥ - الصياد المسكين والمارد اللعين
٤٦ - بدر البدور والحصان المسحور
٤٧ - مغامرة زهرة مع الشجرة
٤٨ - أمير فى بلاد الأقزام
٤٩ - الطبلة المسحورة
٥٠ - حلم من دخان
٥١ - بلاد النهر
٥٢ - حسناء والثعبان الملكى
٥٣ - تائه فى القناة
٥٤ - سلطان ليوم واحد
٥٥ - ضوء النهار والملك زنكار

دار المعارف